

## باب في قسمة غنم<sup>(١)</sup> حنين وما جرى فيها

ثم انصرف رسول الله - ﷺ - إلى الجعرانة : موضع قريب من حنين . وكان قد استأنى<sup>(٢)</sup> بقسمة الغنم رجاء أن يُسلموا ويرجعوا إليه . فلما قُسمت الغنم/ هنالك أتاه وفد هوازن مسلمين راغبين في العطف عليهم والإحسان إليهم ، فقال لهم : قد كنت استأنتيت بكم وقد وقعت المقاسم ، وعندى ما ترون<sup>(٣)</sup> فاخhtarوا : إما ذراريكم ونساءكم وإما أموالكم ، فاخhtarوا العيال والذرية وقالوا : لا نعدل بالأنساب شيئاً ، فقال لهم رسول الله - ﷺ - إذا صلَّيت الظهر فتكلموا واطلبوا حتى أكلمم الناس في أمركم . فلما صلَّى الظهر تكلموا ، وقالوا : نستشفع برسول الله - ﷺ - على المسلمين . فقال النبي - عليه السلام - أما ما كان لي ووليي عبد المطلب وبنو هاشم فهو لكم ، وقال المهاجرون والأنصار : أما ما كان لنا فهو لرسول الله - عليه السلام - وامتنع الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن في قومها<sup>(٤)</sup> أن يردوا عليهم شيئاً مما وقع لهم في سهامهم . وامتنع العباس بن مرداس السلمى وطمع أن يساعده قومه كما ساعد الأقرع بن حابس وعيينة قومها فأبت بنو سليم وقالوا : بلى ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ ، فقال رسول الله - عليه السلام - من ضنَّ منكم بما في يديه فإنما نعوضه منه .

فردَّ عليهم رسول الله - ﷺ - نساءهم وأبناءهم وعوض من لم تطب نفسه بترك نصيبه أعضاضاً رضوا بها . وكان عدد سبي هوازن ستة آلاف إنسان فيهم الشيماء أخت

(١) انظر في غنم حنين وعطايا المولفة قلوبهم ابن هشام ١٣٠/٤ وابن سعد ج ٢ ص ١ ص ١١٠ والطبري ٨٦/٣ وابن حزم ص ٢٤٥ وابن سيد الناس ١٩٣/٢ وابن كثير ٣٥٢/٤ والتويري ٣٣٩/١٧ .

(٢) استأنى : انتظر .

(٣) ما ترون : أى ما سأعرضه عليكم .

(٤) قوم الأقرع نعيم وعينة فزارة .

النبي - عليه السلام - من الرضاة/ وهي بنت الحارث بن عبد العزى من بنى سعد بن بكر [ بن هوازن ]<sup>(١)</sup> بنت حلّيمة السعدية ، فأكرمها رسول الله ﷺ وأعطها ، ورجعت إلى بلادها مسرورة بدينها وبما أفاء الله عليها .

وقسم رسول الله - ﷺ - الأموال<sup>(٢)</sup> بين المسلمين . وأعطى المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس أو من جملة الغنيمة على مذهب من رأى أن ذلك إلى اجتهاد الإمام ، وأن له أن يُنقل<sup>(٣)</sup> في البدأة والرجعة [ حسب ] ما رآه بظاهر قول الله تعالى : ( قل الأنفال لله والرسول ) يحكم فيها بما أراه الله . وليس ذلك لغيره ﷺ بظاهر قوله عز وجل : ( واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسة ) . وللقول في تلخيص ذلك مواضع غير هذا .

### [ أعطيات المؤلفة قلوبهم ]

ولم يختلف أهل السير وغيرهم أن رسول الله - ﷺ - أعطى المؤلفة قلوبهم من قريش وغيرهم ، ولا ذكر للمؤلفة قلوبهم في غير آية<sup>(٤)</sup> قسم الصدقات . قالوا : أعطى قريشا مائة بعير مائة بعير ، وكذلك أعطى عيينة بن حصن والأقرع بن حابس .

قال ابن إسحق : أعطاهم يتألفهم ويتألف بهم قومهم وكانوا أشرافا ، فأعطى أبا سفيان بن حرب مائة بعير ، وأعطى ابنه معاوية مائة بعير ، وأعطى حكيم بن حزام مائة بعير ، وأعطى الحارث بن هشام مائة بعير ، وأعطى سهيل بن عمرو مائة بعير ، وأعطى حويطب بن عبد العزى مائة بعير ، وأعطى صفوان بن أمية مائة بعير ، وكذلك أعطى مالك<sup>(٥)</sup> بن عوف والعلاء بن جارية [الثقيف]<sup>(٦)</sup> حليف بنى زهرة . قال : فهؤلاء

(١) زيادة من المصادر الأخرى للإيضاح .

(٢) كانت الأموال - فيما ذكر ابن سعد وغيره - أربعة وعشرين ألف بعير وأربعين ألف شاة وأربعة آلاف أوفية

فضة .

(٣) يتل : يعطى من النفل وهو غنيمة الحرب .

(٤) يريد آية التوبة : (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى

سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم ) .

(٥) كان قد فر عن الطائف ولحق بالرسول معلناً إسلامه .

(٦) زيادة من ابن هشام .

أصحاب<sup>(١)</sup> المثين .

وأعطى رجالاً من قريش دون المائة ، منهم مَحْرَمَةٌ بن نوفل الزُّهْرِيُّ ، وعمير بن وهب الجُمُحِيُّ ، وهشام بن عمرو العامري - لا أعرف ما أعطاهم<sup>(٢)</sup> . وأعطى سعيد بن يربوع خمسين بغيراً ، وأعطى عباس بن مرداس السلمى أباعر قليلة ، فسَخَطَها وقال في ذلك :  
 وكانت نيهاباً تلافيتها بكرى على المهر في الأجرع<sup>(٣)</sup>  
 وإيقاظي القوم أن يرقدوا إذا هجع الناس لم أهجع  
 فأصبح نهى ونهب العبيد بين عينة والأقرع<sup>(٤)</sup>  
 وقد كنت في الحرب ذا تذرٍ فلم أعط شيئاً ولم أمتع<sup>(٥)</sup>  
 إلا أفاتل أعطيتها عديد قوائمها الأربع<sup>(٦)</sup>  
 وما كان حصن ولا حابس يفوقان شيخى في المجمع<sup>(٧)</sup>  
 وما كنت دون امرئ منها ومن نضع اليوم لا يرفع

فقال رسول الله ﷺ - اذهبوا فاقطعوا عنى لسانه ، فأعطوه حتى رضى ، فكان ذلك قطع لسانه . وقيل إن عباس بن مرداس أتى رسول الله - ﷺ - بعد ذلك ، فقال له رسول الله ﷺ - أنت القاتل : « فأصبح نهى ونهب العبيد بين الأقرع وعينة » فقال أبو بكر الصديق : « بين عينة والأقرع » . فقال رسول الله ﷺ : هما واحد . وقال أبو بكر : أشهد أنك كما قال الله عز وجل : ( وما علمناه الشعر وما ينبغي له ) . قال أبو عمر :

لو كان ما أعطى رسول الله - ﷺ - المؤلفه قلوبهم من غنائم حنين من خمس

(١) ذكر مهم ابن هشام عن ابن إسحق الحارث بن الحارث بن كلدة وهو مذكور في المهاجرين إلى الحبشة ، ولذلك لم يذكره ابن عبد البر لأنه لا يدخل في هؤلاء المؤلفه قلوبهم ، فقد أكرمهم الله بالإسلام مبكراً واهجرة إلى الحبشة ثم إلى المدينة .

(٢) أى لا أعرفه مضبوطاً .

(٣) ٧٣ : غنائم جمع نهب . الأجرع : للكان السهل .

(٤) العبيد : فرس العباس بن مرد .

(٥) تدرأ : دفع وشجاعة .

(٦) أفاتل : جمع أفيل وهو البعير الصغير .

(٧) يريد بقوله : « شيخى » أباه مرداساً .

الخُمْسُ كما زعم من زعم ذلك أو من الخمس الذي قال فيه ﷺ : « مَالِي مِنْ غَنَائِكُمْ إِلَّا الْخُمْسُ ، وَالْخُمْسُ مَرْدُودٌ عَلَيْكُمْ » مَا شَقَّ ذَلِكَ - وَاللَّهِ أَعْلَمُ - عَلَى الْأَنْصَارِ ، حَتَّى قَالُوا مَا هُوَ مَحْفُوظٌ عَنْهُمْ . وَقَدْ كَتَبْتُ ذَلِكَ فِيهَا بَعْدَ . وَلَكِنَّهُ - ﷺ - عَلِمَ مِنْ إِيمَانِهِمْ وَكَرَمِهِمْ أَنَّهُمْ سِيرَضُونَ بِفِعْلِهِ ، لِأَنَّ حِرْصَهُمْ عَلَى ظَهْوَرِ الدِّينِ مِنْ حِرْصِهِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .

### تسمية<sup>(١)</sup> المؤلف قلوبهم

من بني أمية : أبو سفيان بن حرب بن أمية ، وابنه معاوية ، وطلح بن سفيان بن أمية ، وخالد بن أسيد بن [أبي] <sup>(٢)</sup> العيص بن أمية .  
ومن بني عبد الدار بن قصي : شيبه بن عثمان بن أبي طلحة ، وأبو السائب بن بعكك ، وعكرمة بن عامر بن هاشم <sup>(٣)</sup> .  
ومن بني مخزوم : زهير بن أبي أمية ، والحارث بن هشام ، وأخوه خالد بن هشام ، وهشام <sup>(٤)</sup> بن الوليد بن المغيرة ، وسفيان بن عبد الأسد ، والسائب بن أبي السائب .  
ومن بني عدى بن كعب : مطيع بن الأسود ، وأبو جهم بن حذيفة .  
ومن بني جُمح : صفوان/بن أمية بن خلف ، وأخوه أحيحة بن أمية ، وعمر بن وهب بن خلف .

١٣٠ ظ

ومن بني سهم : [عدى <sup>(٥)</sup> بن] قيس بن حذافة .  
ومن بني عامر بن لؤي : حُوَيْطِبُ بن عبد العزى ، وهشام بن عمرو بن ربيعة .  
ومن سائر قبائل العرب : من بني الدَّيْلِ <sup>(٦)</sup> بن بكر بن عبد مناة : نوفل بن معاوية .  
ومن بني قيس ثم من بني عامر بن صعصعة ثم من بني كلاب بن ربيعة بن عامر :

(١) انظر في أسماء المؤلف قلوبهم المجلد لابين حبيب ص ٤٧٣ .

(٢) زياد من رواين هشام .

(٣) هكذا في ابن هشام والاستيعاب وغيرها وفي الأصل ور : هشام .

(٤) أخو خالد بن الوليد .

(٥) زيادة من رواين هشام وغيره .

(٦) في الأصل : الديلي .

علقمة بن عُلانة بن عوف بن الأحوص ابن جعفر بن كلاب ، وليد بن ربيعة بن مالك ابن جعفر بن كلاب .

ومن بني عامر بن صعصعة : خالد بن هُوذة بن ربيعة بن عمرو بن عامر ، وأخوه حرْملة بن هُوذة .

ومن بني نصر بن معاوية : مالك بن عوف بن سعيد بن يربوع .

ومن بني سُلَيْم بن منصور : عباس بن مرداس .

ومن غطفان ثم من فزارة : عُبَيْتة بن حِصْن .

ومن بني تميم ثم من بني حنظلة : الأقرع بن حابس .

وقد ذُكر في المؤلفات حكيم بن حزام والنُّصَيْر<sup>(١)</sup> بن الحارث بن علقمة بن كلدة أخو النصر بن الحارث المقتول بيد رصير . وذكر آخرون النصير بن الحارث فيمن هاجر إلى أرض الحبشة فإن كان منهم فبحال أن يكون من المؤلفات قلوبهم . ومن هاجر إلى أرض الحبشة فهو من المهاجرين الأولين ممن رسخ الإيمان في قلبه ، وقاتل دونه ، ليس ممن يؤلف عليه .

١٣١ ر

وعند إعطاء رسول الله - ﷺ - ما أعطى المؤلفات قلوبهم ولم يُعط الأنصار ولا المهاجرين قال ذو الحُوَيْصِرَة [ التيمي ]<sup>(٢)</sup> : قد رأيت ما صنعت في هذا اليوم يا محمد ! فقال له رسول الله - ﷺ - : أجل ، فكيف رأيت ؟ قال : لم أرك عدلتَ . فغضب النبي عليه السلام ، وقال : ويحك إن لم يكن العدلُ مني<sup>(٣)</sup> فعند من يكون ؟ فقال عمر رضی الله عنه : دعني أضربُ عنقه يا رسول الله ، فقال : لا ، دعوه ، سيكون له شيعَة<sup>(٤)</sup> يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية .

(١) في ابن هشام : نصير ، وانظر ترجمته في الاستيعاب ص ٣١٥ .

(٢) زيادة من ابن هشام وغيره .

(٣) في ابن هشام ور : عدى .

(٤) هم الخوارج لعهد علي إذ كان من زعمائهم .

## موقف<sup>(١)</sup> بعض الأنصار

قال ابن إسحق : وحديثي عاصم بن عمر بن قتادة ، قال :  
لما أعطى رسول الله - ﷺ - تلك العطايا في قريش وقبائل العرب . ولم يكن في  
الأنصار منها شيء وجد هذا الحى من الأنصار في أنفسهم ، حتى كثرت منهم القالة<sup>(٢)</sup> ،  
فدخل عليه سعد بن عبادة فقال : يا رسول الله إن هذا الحى من الأنصار قد وجدوا عليك  
في أنفسهم بما صنعت في هذا النىء الذى أصبت : قسمت في قومك وأعطيت قوما من  
العرب عطايا عظاما ، ولم يكن في هذا الحى من الأنصار منها شيء ، قال : فأين أنت من  
ذلك يا سعد ؟ قال : يا رسول الله ما أنا إلا من قومي ، قال : فاجمع لي قومك / في هذه  
الحظيرة ، قال : فخرج سعد فجمع من الأنصار في تلك الحظيرة ، وجاء رجال من  
المهاجرين فتركهم فدخلوا ، وجاء آخرون فردّهم . فلما اجتمعوا أتاه سعد ، فقال :  
يا رسول الله قد اجتمع لك هذا الحى من الأنصار .  
فأتاهم رسول الله - ﷺ - فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا معشر الأنصار ما قاله  
بلغتنى [ عنكم ]<sup>(٣)</sup> ووجدة<sup>(٤)</sup> وجدتموها في أنفسكم ، ألم آتكم ضلّلا فهداكم الله  
وعالة<sup>(٥)</sup> فأغناكم الله وأعداؤه فألف الله بين قلوبكم ؟ قالوا : بلى لله ورسوله المنّ<sup>(٦)</sup>  
والفضل . ثم قال : ألا تجيبونى يا معشر الأنصار ؟ قالوا : بماذا نجيبك يا رسول الله ؟ لله  
ورسوله المنّ والفضل . فقال : أما والله لو شتم لقتم [ فصدقتم ]<sup>(٧)</sup> ولصدقتم : أتيتنا  
مكذبا فصدقتنا ، ومخذولا فنصرناك ، وطريدا فأويناك ، وعائلا فواسيناك<sup>(٨)</sup> .

(١) انظر في ذلك صحيح البخارى ١٥٧/٥ والطبرى ٩٣/٣ .

(٢) القالة : القول السيئ .

(٣) زيادة من ر وابن هشام والطبرى .

(٤) وجدة : موجدة وعتاب .

(٥) عالة : جمع عائل وهو الفقير .

(٦) المنّ : النعمة .

(٧) زيادة من ر وابن هشام والطبرى .

(٨) واسيناك : من المواسة وهي المشاركة والمساهمة في المعاش والرزق .

أوجدتم - يا معشر الأنصار - في أنفسكم في لُغَاةٍ (١) من الدنيا تألفتُ بها قوماً يُسَلِّموا ووكلتكم إلى إيمانكم ، ألا ترضون - يا معشر الأنصار - أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله إلى رحالكم ؟ . والذي نفسُ محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار ، ولو ملك الناس شِعْباً (٢) وسلكت الأنصار شِعْباً لسكنت شِعْب الأنصار . اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار . قال : فيكى القوم حتى أخذلوا (٣) لحاهم ، وقالوا : رضينا برسول الله - صلى الله عليه وسلم - قسماً وحظاً . فانصرف رسول الله ﷺ وتفرقوا .

و ١٣٢

وروى أن قائلاً قال لرسول الله ﷺ : يا رسول الله أعطيت عيينة بن حصن والأقرع بن حابس ، وتركت جُعيل بن سُرَاقَةَ الضَّمْرِيَّ ؟ فقال رسول الله : والذي نفسُ محمد بيده لَجُعيلُ بن سُرَاقَةَ خير من طِلاع (٤) الأرض مثل الأقرع وعيينة ولكني تألفتها لئسَلِّمًا ووكلتُ جعيلًا إلى إسلامه .

وكان هذا القَسَمُ بالجِعْرَانَةِ . وروى أبو الزبير وغيره عن جابر ، قال : بصرتُ عيناى رسول الله - ﷺ - بالجِعْرَانَةِ ، وفي ثوب بلال فضة ، ورسول الله - ﷺ - يقبض ويعطى الناس .

### عمرة رسول الله من الجِعْرَانَةِ

ثم خرج رسول الله - ﷺ - معتمراً من الجِعْرَانَةِ إلى مكة (٥) ، وأمر ببقايا الفَيءِ فحُمِسَ بناحية مرَّ (٦) الظُّهْرَانِ . فلما فرغ رسول الله - ﷺ - من عمرته انصرف إلى المدينة ، واستخلف على مكة عَتَّابُ بن أسيد بن أبي العيص ، وهو ابن نيفٍ وعشرين سنة .

(١) اللغاة : بقل أخضر ناعم شبه به متاع الدنيا ، وأنه قليل لا يدوم .

(٢) الشب : الطريق بين جبلين .

(٣) أخذلوا لحاهم : سكبوا عليها دموعهم .

(٤) طلاع الأرض : ما يطلع منها كتابة عن عدم رسوهم في الإسلام .

(٥) كان ذلك ليلة الأربعاء لاثني عشرة ليلة مضت من ذي القعدة . والجعرانة : ماء بين الطائف ومكة .

(٦) مر الظهران : على موحلة ، كما سلف ، من مكة .

ودخل رسول الله - ﷺ - المدينة لست<sup>(١)</sup> يقين من ذى القعدة . وكانت وقعة الطائف في ذى القعدة المؤرخ من السنة الثامنة من الهجرة . وكانت غيبة رسول الله - ﷺ - منذ خرج من المدينة إلى مكة فافتتحها وأوقع /هوازن وحارب الطائف إلى أن رجع إلى المدينة شهرين وستة عشر يوما .

واستعمل رسول الله - ﷺ - مالك بن عوف بن سعيد بن يربوع النَّصْرِي على من أسلم من قومه من قبائل قيس . وأمره بمغاورة<sup>(٢)</sup> ثقيف ، ففعل ، وضيق عليهم . وحسن إسلامه وإسلام المؤلف قلوبهم حاشا عُيَيْتَةَ بن حِصْن . فلم يزل مغموزا عليه . وسائر المؤلف قلوبهم منهم الخَيْرُ الفاضل المُجْمَعُ على خيره كالحارث بن هشام ، وحكيم بن حزام ، وعكرمة بن أبي جهل ، وسهيل بن عمرو . ومنهم دون هؤلاء . وقد فضل الله النبيين وسائر عباده المؤمنين بعضهم على بعض ، وهو أعلم بهم . ثم انصرف رسول الله - ﷺ - وتفرقوا . وأقام الحج للناس عتاب بن أسيد في تلك السنة<sup>(٣)</sup> ، وهو أول أمير أقام الحج في الإسلام . وحجَّ المشركون على مشاعرهم . وكان عتاب بن أسيد خيرا فاضلا ورعا .

وقدم كعب بن زهير بن أبي سلمى على رسول الله - ﷺ - مسلما ، وامتنحه ، وقام على رأسه بقصيدته التي أولها : بانت سعاد فقلبي اليوم متبول<sup>(٤)</sup> . وأنشدها إلى آخرها ، وذكر فيها المهاجرين فأنثى عليهم . وكان قبل ذلك حفيظ له هجاء في النبي عليه السلام ، فعاب عليه الأنصار إذ لم يذكروهم ، فغدا على النبي - عليه السلام - بقصيدة /يمدح فيها الأنصار<sup>(٥)</sup> . وقبل النبي - عليه السلام - إسلامه وسمع شعره وأثابه<sup>(٦)</sup> .

(١) في بعض الروايات : في أول ذى الحجة .

(٢) مغاورة ، يقصد الإغارة عليها نلو الإغارة .

(٣) وهي السنة الثامنة للهجرة .

(٤) بانت : بعدت . متبول : أسقمه الحب وأضناه .

(٥) انظر القصيدة في ديوانه (طبع دار الكتب المصرية) ص ٦ .

(٦) انظر قصة إسلامه وثواب الرسول له في ابن هشام ١٤٤/٤ .

## غزوة (١) تبوك

ثم أقام رسول الله - ﷺ - بالمدينة بعد انصرافه من حصار الطائف ذا الحجة والحرم وصفراً وربيعاً الأول وربيعاً الآخر وجمادى الأولى وجمادى الآخرة . وخرج في رجب من سنة تسع بالمسلمين إلى غزوة الروم ، وهي آخر غزاة غزاها - ﷺ - بنفسه . وكان خروجه إلى غزوته تلك في حر شديد [ وحين<sup>(١)</sup> ] طاب [ أول الثمر وفي عام جذب .

وكان رسول الله - ﷺ - لا يكاد يخرج غازياً إلا ورئى<sup>(٢)</sup> بغيره إلا غزوة تبوك ، فإنه يبنيها للناس لبعث المسافة ونفقة المال والشقة وقوة العدو المقصود إليه . فتأخر الجد بن قيس من بني سلمة ، وكان متها بالنفاق فاستأذن رسول الله - ﷺ - في البقاء وهو غنى قوى فأذن له ، وأعرض عنه فترلت فيه<sup>(٣)</sup> : ( ومنهم من يقول أئذنى لى ولا تفتنى ألا فى الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين ) . وكان نفر من المنافقين<sup>(٤)</sup> يجمعون فى بيت سويلم اليهودى عند جاسوم<sup>(٥)</sup> يشبطون الناس عن الغزوة . فبعث رسول الله - ﷺ - طلحة بن عبيد الله فى نفر ، وأمرهم أن يحرقوا/ عليهم البيت ، ففعل ذلك طلحة ، فاقترح الضحاك بن خليفة ، وكان معهم فى البيت ، جدار الدار ، فوقع ، فانكسرت رحله . وفر ابن أبيرق وكان معهم .

١٣٣ ظ

وأنفق ناسٌ من المسلمين واحتسبوا<sup>(٦)</sup> ، وأنفق عثمان - رضى الله عنه - نفقة عظيمة جهز بها جماعة من المعسريرين فى تلك الغزوة . وروى أنه حمل فى تلك الغزوة على تسعمائة

(١) انظر فى غزوة تبوك ابن هشام ١٥٩/٤ والواقدي ٤٢٥ وابن سعد ج ٢ ق ١ ص ١١٨ والبحارى ٢/٦ والطبرى

١٠٠/٣ وابن حزم ص ٢٤٩ وابن سيد الناس ٢/٢١٥ وابن كثير ٢/٥ والنويرى ٢٥٢/١٧ .

(٢) زيادة من ر وابن هشام وغيره ، أى أن الوقت كان شديد الحرارة وكان الناس يجون المقام فى ثمارهم

وظلالهم .

(٣) ورى : كنى

(٤) هكذا فى ر وفى الأصل : فيهم

(٥) هكذا فى ر وابن هشام وغيره ، وفى الأصل : المسلمين .

(٦) جاسوم : بئر كانت للهيم بن التهان بالمدينة .

(٧) احتسبوا : جعلوا ما أنفقوه حبة لله يطلبون به الأجر والثواب .

بغير ومائة فرس وجهزهم حتى لم يفقدوا عقالا ولا شيكالا<sup>(١)</sup> ، وروى أنه أنفق فيها ألف دينار .

وفي هذه الغزوة أتى رسول الله - ﷺ - البكائون وهم سبعة : سالم بن عمرو [ من بني عمرو ] بن عوف ، وعُلبَة بن زيد أخو بني حارثة ، وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب من بني مازن بن النجار ، وعمرو بن الحُجَم من بني سلمة ، وعبد الله بن المغفل المزني وقيل : بل هو عبد الله بن عمرو المزني ، وهرمي بن عبد الله أخو بني واقف وعرباض بن سارية الفزاري . فاستحملوا<sup>(٢)</sup> رسول الله ﷺ ، فلم يجدوا عنده ما يحملهم عليه ، فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً أن لا يجدوا ما ينفقون . فسموا البكائين . وذكروا أن ابن يامين بن عمير<sup>(٣)</sup> النَّضْرِي حمل أبا ليلى وعبد الله بن مغفل على ناضح<sup>(٤)</sup> له يعقبانه<sup>(٥)</sup> ، وزودهما تمرًا كثيرًا . واعتذر المحلفون من الأعراب ، فعذرهم رسول الله عليه السلام .

1/ وخرج رسول الله ﷺ ، وضرب عسكره على باب المدينة ، واستعمل عليها محمد ابن مسلمة ، وقيل : بل سباع بن عُرْفُطَة ، وقيل : بل خلف عليها علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وهو الأثيب : أن رسول الله - ﷺ - خلف عليها (في) غزوة تبوك ، فقال المنافقون : استنقله ، فذكر ذلك علي - رضوان الله عليه - لرسول الله - ﷺ - في خبر سعد ، فقال : كذبوا ، إنما خلفتلك لما تركت ورائي ، فارجع ، فاخلفني في أهلي وأهلك ، فأنت مني بمنزلة هرون من موسى ، إلا أنه لا نبي بعدي . والآثار بذلك متواترة صحاح قد ذكرت كثيرا منها في غير هذا الموضع .

وخرج عبد الله بن أبي بن سلول بعسكره ، فضربه على باب المدينة أيضا ، فكان عسكره - فيما زعموا - ليس بأقل العسكريين ، وهو يُظهر الغزاة مع رسول الله ، ﷺ .

(١) هكذا في ابن حزم ، وفي الأصل ور : شيئاً . وشكال الدابة ما تشد به قوائمها ، وعقال البعير ما يشد به ذراعه مع وظيفه عند بروكه .

(٢) زيادة من ر وابن هشام .

(٣) استحملوه : طلبوا منه ما يحملهم عليه من الإبل .

(٤) هكذا في الأصل ور وابن هشام ، وفي بعض المراجع : عمرو .

(٥) الناضح : البعير يستق عليه

(٦) يعقبانه : يتبادلانه ويتناوبانه .

فلما نهض رسول الله ﷺ تخلف عبد الله بن أبي بن سلول فيمن تخلف من المنافقين وأهل الرِّيب ، وكانوا نَبَقًا وثمانين رجلا ، خلفهم سوء نياتهم ونفاقهم .

وتخلف في هذه ( الغزاة ) من صالحى المسلمين ثلاثة<sup>(١)</sup> رجال ، وهم : كعب بن مالك الشاعر من بنى سلمة ، ومُرارة بن ربيعة - ويقال ابن الربيع - من بنى عمرو بن عوف ، وهلال بن أمية الواقفي . فافتقدهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد يوم أو يومين ، فقيل له : تخلفوا . فعجب من ذلك ، وعزَّ عليه لأنه كان يعرف إيمانهم وفضلهم .

ظ ١٣٤

ونَهَضَ ﷺ ، فَخَطَرَ<sup>(٢)</sup> على حِجْرِ ثمود<sup>(٣)</sup> ، فَأَمَرَ أَصْحَابَهُ أَنْ لَا يَتَوَضَّأُوا مِنْ بئرِ ثمود ، وَلَا يَعْجِنُوا خُبْزًا بِمَائِهَا ، وَلَا يَسْتَعْمَلُوا شَيْئًا مِنْهُ ، فَقِيلَ لَهُ : إِنْ قَوْمًا عَجِنُوا مِنْهُ ، فَأَمَرَ بِالْعَجِينِ ، فَطُرِحَ لِلْإِبِلِ عَلْفًا . وَأَمَرَهُمْ أَنْ لَا يَسْتَعْمَلُوا مَاءَ بئرِ النَّاقَةِ فِي كُلِّ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ . وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - بِأَنْ لَا يَدْخُلُوا بِيوتِ ثمود ، وَقَالَ : لَا تَدْخُلُوا [ بِيوتِ ]<sup>(٤)</sup> هؤُلاءِ الْعَذْبِينَ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بِأَكْبِنِ [ خَشِيَّةَ ] أَنْ يَصِيْبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ . وَنَهَاهُمْ أَنْ يُخْرِجَ أَحَدُهُمْ مِنْفَرْدًا ، فَخَرَجَ رَجُلَانِ مِنْ بَنِي سَاعِدَةَ ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِنْفَرِدٍ عَنْ صَاحِبِهِ ، أَحَدُهُمَا يَرِيدُ الْغَائِطَ ، فَخُتِقَ ، فَأَخْبَرَ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَدَعَا لَهُ ، فَشُقِيَ . وَالْآخَرُ خَرَجَ فِي طَلَبِ بَعِيرٍ لَهُ فَأَخَذَتْهُ الرِّيحُ وَرَمَتْهُ فِي جَبَلٍ طَيِّبٍ ، فَردَّتْهُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . وَعَطِشَ النَّاسُ فِي تِلْكَ الْغَزَاةِ عَطْشًا شَدِيدًا ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - رَبَّهُ ، فَأَرْسَلَ<sup>(٥)</sup> عَلَيْهِمْ سَحَابَةً ارْتَوَوْا مِنْهَا وَدَوَّابَهُمْ وَإِبِلَهُمْ ، وَأَخَذُوا حَاجَتَهُمْ [ مِنَ الْمَاءِ ] .

وَأَصْلُ - ﷺ - نَاقَتِهِ ، وَقَالَ مَنْ فِي قَلْبِهِ نِفَاقٌ : مُحَمَّدٌ يَدْعَى أَنْ<sup>(٧)</sup> خَيْرَ السَّمَاءِ يَأْتِيهِ

(١) في ابن هشام ومصادر أخرى أنهم كانوا أربعة أربعة زيادة أبي خيشمة غير أنها تعود فذكر مسارعه إلى الرسول وانتقامه في سلك الجيش .

(٢) خطر : مر وسار .

(٣) حجر ثمود : هي المعروفة الآن باسم مدائن صالح .

(٤) زيادة من رواين هشام .

(٥) في الأصل ور : فأنزل وقد اختارتا رواية ابن هشام .

(٦) هكذا في ر . وفي الأصل ، وردوا بهم وإبلهم .

(٧) في الأصل : على أن .

[و] لا يدري أين<sup>(١)</sup> ناقته فزول الوحي بما قال هذا القائل على رسول الله ﷺ . / فدعا أصحابه ، فأخبرهم بقول القائل ، وأخبرهم أن الله - عزَّ وجلَّ - قد عرفه بموضع ناقته وأنها في موضع كذا قد تعلق خطامها بشجرة ، فابتدروا المكان الذي وصف عليه السلام ، فوجدوها هنالك . وقيل إن قائل ذلك القول زيد بن اللصيت القينقاعي وكان منافقا ، وقيل إنه تاب بعد ذلك ، وقيل لم يتب ، والله أعلم .

وفي هذه العزاة ذكروا أن رسول الله - ﷺ - ، رأى أبا ذرٍّ يمشي في ناحية العسكر وحده ، فقال : يرحم الله أبا ذرٍّ يمشي وحده ، ويموت وحده ، ويبعث وحده . فكان ، كما قال ﷺ : مات بالرَبْدَةِ<sup>(٢)</sup> وحده ، وأخرج بعد أن كَفَنَ إلى الطريق يَلْتَمَسُ مَنْ يُصَلِّي عليه ، فصادف إقبال ابن مسعود من الكوفة فصلَّى عليه . وكان ممن سمع هذا الحديث ، فَحَدَّثَ به يومئذ أيضا .

وزول القرآن من سورة براءة وسورة الأحزاب بفضيحة المنافقين الذين كانوا يجادلون المسلمين ، وتاب من أولئك محشَّن<sup>(٣)</sup> بن حُمير ، ودعا الله أن يكفر عنه بشهادة يخفى بها مكانه ، فقتل يوم<sup>(٤)</sup> اليمامة ولم يُوجد له أثر .

### [بعث<sup>(٥)</sup> خالد بن الوليد إلى أكيدر دومة<sup>(٦)</sup>]

وبعث رسول الله - ﷺ - خالد بن الوليد إلى أكيدر بن عبد الملك صاحب دومة ، وقال له : يا خالد إنك مستجده بصيد البقر . فأتاه خالد ليلا<sup>(٧)</sup> / وقرب من حصنه ، وأرسل الله - تعالى - بقر الوحش فأتت تحك حائط القصر بقرونها ، فنشط أكيدر ليصيدها . وخرج في الليل ، فأخذه خالد ، وبعث به إلى رسول الله ﷺ ، فعفا عنه النبي

(١) هكذا في ابن هشام وغيره وفي الأصل ور : حيث .

(٢) الرَبْدَةُ : موضع قرب المدينة .

(٣) قال ابن هشام : ويقال محشَّن .

(٤) هو أشهر أيام الردة وفيه قتل مسلمة الكذاب .

(٥) انظر في هذا البعث ابن هشام ١٦٩/٤ وابن سيد الناس ٢٢٠/٢ والزبيرى ٣٥٦/١٧ .

(٦) دومة : هي دومة الجندل ، قرية كانت بشمال نجد ، وقد مر بنا التعريف بها في غزوة دومة الجندل .

(٧) قال ابن سعد إنه كان في أربعائة وعشرين فارساً وأنه صالح أكيدر دومة على ألى بعير وثمانمائة شاة وأربعائة

درع وأربعائة رمح .

عليه السلام ، وردّه إلى حصنه بعد أن صالحه على الجزية . وصالح يُحَنِّ بن رُوْبَة صاحب أَيْلَة<sup>(١)</sup> على الجزية .

### [ العودة من تبوك ]

وأقام رسول الله - ﷺ - بتبوك بضع عشرة ليلة ، ولم يتجاوزها<sup>(٢)</sup> ، ثم انصرف . وكان في طريقه ماء قليل ، فنهى أن يسبق أحد إلى الماء ، فسبق إليه رجلان ، فاستنفا ما فيه ، فسبها رسول الله ﷺ ، وقال ما شاء الله أن يقول . ثم وضع يده في الماء ودعا الله فيه بالبركة ، فجاشت العين بماء عظيم كفى الجيش كله . وأخبر - عليه السلام - أن ذلك الموضع سيملاً جنانا . ( فكان كذلك ) . وبني رسول الله - ﷺ - بين تبوك والمدينة مساجد كثيرة نحو ستة عشر مسجداً ، أولها مسجد بناه بتبوك وآخرها بذي خشب<sup>(٣)</sup>

### مسجد الضُّرَّار

وكان أهل مسجد الضُّرَّار قد أتوه وهو متجهزٌ إلى تبوك ، فقالوا : يا رسول الله إنا قد بنينا مسجداً لذي العيلة<sup>(٤)</sup> والحاجة والليلة المطيرة ، وإنا نحب أن تأتينا فتصلى فيه ، فقال لهم : أنا في شغل السفر ، وإذا انصرفتُ فسيكون<sup>(٥)</sup> . فلما انصرف رسول الله ﷺ أمر في منصرفه بهدم مسجد الضُّرَّار / أمر بذلك مالك بن الدُّخْشَم ومعه بن عدى وعاصم بن عدى أخاه وأمر بإحراقه ، وقال لهم : اخرجوا إلى هذا المسجد الظالم أهله ، فاهدموه وأحرقوه ، فخرجوا مسرعين . وأخرج مالك بن الدُّخْشَم من منزله شعلة نار . ونهضوا فأحرقوا المسجد وهدموه وكان الذين بنوه : خِذَام بن خالد من بني عُبَيْد بن زيد أحد بني

و ١٣٦

(١) أَيْلَة : كانت ثغراً على خليج العقبة أو بقره . وجاء في صلح الرسول له وللأكيدر أنه صالحهما أيضاً على تبوك وتيماء بحيث تدفعان الجزية .

(٢) في ابن سعد : أن الرسول أقام على تبوك عشرين ليلة .

(٣) ذو خشب : على مرحلة من المدينة .

(٤) العيلة : الفقر ، وفي ابن هشام : العلة .

(٥) فسيكون : لم يصرح الرسول بما سيكون ، وكأنه اتوى هدم المسجد منذ سمع به ، لأن من اتخلوه أرادوا به ستر

غابهم من التفرقة بين المسلمين .

عمرو بن عمرو بن عوف ومن داره أُخْرِجَ مسجد الضُّرار ، ومعتَب بن قُشير من بني ضُبَيْعَة ابن زيد ، وأبو حبيبة بن الأزرع من بني ضُبَيْعَة<sup>(١)</sup> بن زيد ، وعَبَاد بن حَنيف أخو سهل ابن حنيف من بني عمرو بن عوف ، وجارية بن عامر وابناه : مجَمَع وزيد ابنا جارية ، وبتل بن الحارث من بني ضُبَيْعَة ، وبَحْرَج وهو من بني ضُبَيْعَة ، وبيجاد بن عَمَّان من بني ضُبَيْعَة [ووديعة<sup>(٢)</sup> بن ثابت] من بني أمية بن زيد . وثعلبة بن حاطب مذكور فيهم ، وفيه نظر ، لأنّه قد شهد بدرًا .

ومات عبد الله ذو البجاد [بن] المُرَفي في غزوة تبوك ، فتولّى رسول الله - ﷺ - وأبو بكر وعمر غسله ودفنه ، ونزل رسول الله - ﷺ - في قبره ، وقال : اللهم إني راضي عنه ، فأرض عنه .

### [ حديث<sup>(٣)</sup> كعب بن مالك وصاحبيه المتخلفين ]

وأما اختصار حديث كعب بن مالك وصاحبيه الذين تخلّفوا عن رسول الله - ﷺ - / في غزوة تبوك لغيرية في الدين ولا تهمّة نفاق إلا ما كان من علم الله في إظهار حالهم والزيادة في فضلهم ، وروناه من طرق صحيحة لأحصيها كثرة عن ابن شهاب ، وخرجه المصنفون وأصحاب المساند . ذكره ابن شهاب عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن أباه حدّثه ، قال : سمعت أبي كعب بن مالك ، قال ، فذكر الحديث ، وفيه قال كعب بن مالك :

فلما بلغني أن رسول الله - ﷺ - قد توجه قافلاً من تبوك ثاب إليّ لبيّ وعلمت أنّي قد فعلت ما لم يرض الله ورسوله في تخلّقي عنه . فقلت أكذبه ، وتذكرت ما يكون الكذب الذي أُخْرِجَ به من ذلك ، فلم يتّجه لي . فلما قيل إن رسول الله - ﷺ - قد أطل<sup>(٤)</sup>

(١) هكذا في ر واين هشام وغيره ، وفي الأصل : صمصعة .

(٢) زيادة من ر واين هشام .

(٣) انظر في هذا الحديث ابن هشام ١٧٥/٤ وصحيح البخارى ٣/٦ وسنن أبي داود ٢٧٧/١ وراجع في أسماء

الثلاثة الذين تخلّفوا عن تبوك الخبر لابن حبيب ص ٢٨٤ .

(٤) أطل : أشرف وقرب .

قادمًا زاح<sup>(١)</sup> عنى الباطل ، وعلمت أنى لا أنجو منه إلا بالصدق . فلما صبح<sup>(٢)</sup> رسول الله - ﷺ - المدينة نزل بالمسجد ، فصلّى ركعتين . ثم جلس فجاء المتخلفون ، فجعلوا يعتذرون إليه ومحلفون له ، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً ، فقبل منهم واستغفر لهم ، ووكل سرائرهم إلى الله . وجئتُ فسلمتُ عليه فتبسم تبسمَ الغضب ، وقال لى : ما خلفك ؟ ألم أكن ابتعتَ ظهرك<sup>(٣)</sup> ؟ قلت : والله يا رسول الله لو جلست بين يدى غيرك لرجوت أن أقم عنده عذرى لأنى أعطيتُ جدلاً<sup>(٤)</sup> ولكنى / قد علمتُ أنى إن كذبتك اليوم أطلعك الله عليه<sup>(٥)</sup> غدا ، ففضحت نفسى . فوالله ما كان لى عذر فى التخلف عنك ، وما كنت قط أقوى منى حين تخلفت عنك . فقال رسول الله ﷺ : أما هذا فقد صدقكم ، فقم حتى يقضى الله فىك ، فقمتم ومعى رجال من قومى : بنى سلمة يقولون : ما علمناك أتيت قط غير هذا الذنب ، أفلا اعتذرت إليه فيسعلك ما وسع المتخلفين ؟ وكان يكفيك استغفار رسول الله ﷺ حتى همت أن أنصرف إلى رسول الله فأكذب نفسى ثم قلت : هل لى مثل هذا أحدٌ غيرى ؟ قالوا : [ نعم ]<sup>(٦)</sup> رجلان قالا مثل مقالك ، وقيل لهما مثل ما قيل لك ، قلت : من هما ؟ قالوا : مُرارة بن ربيعة العمرى وهلال بن أمية الواقفى . فذكروا لى رجلين صالحين فيها أسوة ، فصمتُ حين ذكروهما لى . ونهى رسول الله - ﷺ - عن كلامنا أيها الثلاثة خاصة<sup>(٧)</sup> ، فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا ، حتى تنكرت لى نفسى والأرض التى أنا فيها . فأما صاحبى فقعدا فى بيوتها ، وأما أنا فكنت أخرج ، فأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف بالأسواق لا يكلمنى أحد ، وآتى رسول الله ﷺ فأسلم عليه ولا أسمعه يردّ علىّ ، فأقول : لى شعرى هل ردّ فى نفسه . وكنت / أصلّى قريبا منه ، وأسارقه النظر ، فإذا أقبلتُ على صلاتى نظر إلىّ ، فإذا التفت نحوه أعرض عنى . حتى إذا طال ذلك علىّ من جفوة المسلمين مشيتُ حتى تسورت<sup>(٨)</sup> جدار ( حائط ) أبى

١٣٧ و

١٣٧ ظ

(١) زاح : ذهب .

(٢) صبح المدينة : دخلها صباحاً .

(٣) الظهر : الدابة . وفى البخارى : ألم تكن قد ابتعت ظهرك .

(٤) جدلاً : فصاحة ولسان وقوة حجة .

(٥) عليه : أى على الكذب .

(٦) زيادة من ابن هشام وصحيح البخارى .

(٧) خاصة : أى من المتخلفين .

(٨) تسورت : علوت .

قتادة ، وهو ابن عمي وأحب الناس إليّ . فسلمت عليه ، فوالله ما زاد<sup>(١)</sup> على السلام ، فقلت : يا أبا قتادة نشدتك الله هل تعلم أني أحب الله ورسوله ؟ فسكت ، فناشدته ثانية ، فقال : الله ورسوله أعلم . ففاضت عيناى فعدت فوثبت [ فتنسورت ]<sup>(٢)</sup> الجدار ، وخرجت . ثم غدوت إلى السوق فإذا رجل يسأل عني من نبط<sup>(٣)</sup> الشام القادمين بالطعام إلى المدينة ، يقول : من يدلُّ على كعب بن مالك ، فجعل الناس يشيرون له إليّ ، فجاءني ، فدفع إليّ كتابا من ملك غسان . فإذا فيه : «أما بعد فقد بلغنا أن صاحبك قد جفاك . ولم يجعلك الله بدار هوان ، فالحق بنا نؤاسيك » . فقلت حين قرأته : وهذا من البلاء أيضا أن يطمع في رجل من أهل الشرك ، فعمدت إلى تور<sup>(٤)</sup> . فسجرت<sup>(٥)</sup> فيه الكتاب . وأقت حالي حتى إذا مضت أربعون ليلة إذا رسول الله أتاني ، فقال لي : رسول الله ﷺ يأمرك أن تعترل امرأتك ، فقلت : أطلّقها أم ماذا ؟ قال : [ لا ]<sup>(٦)</sup> لي اعترلها ولا تقربها . وأرسل إلى صاحبي بمثل ذلك . فقلت لامرأتي : الحق بأهلك فكوني / فيهم حتى يقضى الله في هذا الأمر ما هو قاض . وجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله إن هلال بن أمية شيخ كبير ضائع لا خادم له أتكره أن أخدمه ؟ قال : لا ولكن لا يقربك ، قالت : والله يا رسول الله ما به من حركة إليّ ، وما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومي هذا حتى تحوّفت على بصره . وقال لي بعض أهلي : لو استأذنت رسول الله - ﷺ في خدمة امرأتك فقد أذن هلال بن أمية ؟ فقلت : والله لا أفعل ، إني لا أدري ما يقول لي وأنا رجل شاب .

قال : فلبثنا في ذلك عشر ليال فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله - ﷺ المسلمين عن الكلام معنا . فلما صليت [ الصبح ]<sup>(٧)</sup> صبح خمسين ليلة وأنا قد ضاقت

(١) في . صحيح البخارى . ما ورد .

(٢) زيادة من ابن هشام والبخارى .

(٣) واضح ما يدل عليه هذا الخبر من أن نباط فلسطين والأردن كانوا يسهمون في التجارة حتى ظهور الإسلام

وكان الغساسنة وغيرهم يتخذونهم جواسيس لهم .

(٤) تور : موقد نار .

(٥) سجرته . أخرجه .

(٦) زيادة من ر وابن هشام والبخارى .

(٧) زيادة من ر وابن هشام . وفي البخارى : فلما صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة .

على الأرض بما رحبت<sup>(١)</sup> وضاقَت على نَفْسِي ، فَأَنَا كَذَلِكَ إِذْ سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ قَدْ وَاثَى عَلَى ظَهْرِ سَلْعٍ<sup>(٢)</sup> [ ينادى<sup>(٣)</sup> بأعلى صوته ] : يا كعب بن مالك أُبَشِّرُ ، فخررتُ لله ساجداً وعلمتُ أن قد جاءَ الفرجُ ، وأذنَ رسولُ الله - ﷺ - بتوبةِ الله علينا حينَ صَلَّى الفجر - فذهبَ الناسُ يبشروننا . وركضَ رجلٌ إليَّ فرساً وسعى ساعٍ مِن أَسْلَمٍ حتى واثَى على الجبل ، وكان الصوتُ أسرعَ من الفرس .

فلما جاءني الذي سمعتُ صوته يبشرونني نزعَتُ ثوبي فكسوتها إياه ، والله ما أملك يومئذٍ غيرهما ، واستعرتُ ثوبين/ فلبستهما ثم انطلقتُ أتيتم<sup>(٤)</sup> رسولَ الله ﷺ ، وتلقاني الناسُ يبشرونني بالتوبة ، ويقولون : لِيَتَّهِنِكَ توبَةُ اللهِ عَلَيْكَ ، حتى دخلتُ المسجدَ ، ورسولُ الله - ﷺ - جالسٌ ، حوله الناسُ . فقامَ إليَّ طلحةُ بن عبيد الله ، فحيأني وهأني . والله ما قامَ إليَّ رجلٌ من المهاجرين غيره . قال : فكان كعب لا ينساها لطلحة . قال : فلما سلمتُ على رسولِ الله - ﷺ - قال [ لي ]<sup>(٥)</sup> ووجهه يبرقُ من السرور : أُبَشِّرُ بَخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مِنْذُ وَلَدْتِكَ أَمْكُ ، قلتُ : أَمِنْ عِنْدَكَ يَا رَسُولَ اللهِ أَمْ مِنْ عِنْدِ اللهِ ؟ قال : لا بل من عند الله . قال : وكان رسولُ الله إذا استبشركانَ وجهه قطعةً قر . فلما جلستُ بين يديه قلتُ : يا رسولَ الله إن من توبتي إلى الله أن أنخلعَ من مالي صدقةً إلى الله وإلى رسوله ، فقال رسولُ الله - ﷺ - أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرُ لَكَ . قلتُ إني ممسكٌ سهمي الذي بخيبر . وقلتُ : يا رسولَ الله إن الله قد أبحاني بالصدق وإن من توبتي أن لا أحدثُ إلا صدقاً ما بقيت . وكان ما نزل في شأنِي من القرآن قوله تعالى جلَّ ذكره : (وعلى الثلاثة الذين خلفوا<sup>(٦)</sup>) حتى إذا ضاقتُ عليهم الأرضُ بما رحبتُ) إلى قوله : (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) .

(١) رحبت : اتسعت .

(٢) سلعٌ : جبل بالمدينة .

(٣) زيادة من رواي هشام .

(٤) أتيتم : أقصد .

(٥) زيادة من ابن هشام .

(٦) وفي تلمة حديث كعب بن مالك تعليقاً على قوله تعالى : (وعلى الثلاثة الذين خلفوا) : وليس الذي ذكره الله

من تخلفنا عن الغزوة ولكن لتخليفه إيانا وإرجائه أمرنا عن حلف له واعتذر إليه فقبل منه . انظر ابن هشام ١٨١/٤

## إسلام<sup>(١)</sup> ثقيف

/ ولما كان في رمضان سنة تسع من الهجرة منصرفاً رسول ﷺ - من تبوك أتاه وفد ثقيف . وقد كان عروة بن مسعود الثقفي لحق برسول الله - ﷺ - في حين انصرافه من حصار الطائف ، فأدركه قبل أن يدخل المدينة ، فأسلم . وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام . وكان سيد قومه ثقيف ، فقال له رسول الله - ﷺ - : إنهم قاتلوك . وعرف رسول الله - ﷺ - امتناعهم<sup>(٢)</sup> ونحوتهم . فقال : يا رسول الله إني أحب إليهم من أبقارهم<sup>(٣)</sup> . ووثق بمكانه منهم فانصرف إليهم ودعاهم إلى الإسلام وأخبرهم أنه قد أسلم . فرموه بالنبل ، فأصابه سهم ، فقتله . فرعمت بنو مالك أنه قتل رجل منهم ، فقيل له : ما ترى في دمك ؟ فقال : كرامة أكرمني الله بها ، وشهادة ساقها إلى . فليس في إلا ما في الشهداء الذين قُتلوا مع رسول الله - ﷺ - قبل أن يدخل<sup>(٤)</sup> إليكم . وأوصى أن يدفن معهم . فهو مدفون - خارج الطائف - مع الشهداء . وذكروا أن رسول الله - ﷺ - قال : مثله في قومه مثل صاحب ياسين<sup>(٥)</sup> في قومه .

ثم إن ثقيفا رأوا أن لا طاقة لهم بما هم فيه من خلاف جميع العرب ومغاورتهم لهم والتضييق عليهم ، فاجتمعوا على أن يرسلوا من أنفسهم رسولا . كما أرسلوا عروة ، فكلّموا/ عبد يا ليل بن عمرو بن عمير ، وكان في سين عروة بن مسعود ، في ذلك ، فأبى أن يفعل ، وخشى أن يُصنع به ما صنع بعروة بن مسعود ، وقال : لست فاعلا إلا أن ترسلوا معي رجالا . فأجمعوا على أن يبعثوا معه رجلين من الأحلاف وثلاثة من بني مالك فيكونوا ستة . فبعثوا مع عبد يا ليل : الحكم بن عمرو بن وهب بن معتب ، وشرحبيل بن

(١) انظر في إسلام ثقيف ابن هشام ١٨٢/٤ وابن سعد ج ١ ق ٢ ص ٥٢ وتاريخ الطبري ٩٦/٣ وابن حزم ص ٢٥٥ وابن سيد الناس ٢٢٨/٢ وابن كثير ٢٩/٥ .

(٢) في ابن هشام : نخوة الامتناع الذي كان منهم .

(٣) قال ابن هشام : ويقال من أبصارهم .

(٤) في ابن هشام : قبل أن يدخل عنكم .

(٥) ياسين ، أي سورة ياسين .

غيلان بن سلمة من بني معتب<sup>(١)</sup> ، ومن بني مالك : عثمان بن أبي العاصي بن بشر بن عبد دهمان ، وأوس بن عوف أبا بني سالم وقد قيل إنه قاتل عروة ، ونمير بن خرشة بن ربيعة .

فخرجوا حتى قدموا المدينة ، فأول من رآهم بقناة<sup>(٢)</sup> المغيرة<sup>(٣)</sup> بن شعبة ، وكان برعى ركاب<sup>(٤)</sup> أصحاب رسول الله ﷺ [ في ]<sup>(٥)</sup> نوبته ، وكانت رعيتهما نوباً عليهم ، فترك عندهم الركاب ، ونهض مسرعاً ، ليشر رسول الله - ﷺ - بقدمهم ، فلقى أبا بكر الصديق ، فاستخبره عن شأنه فأخبره بقدم وقد قومه : ثقيف ، للإسلام . فأقسم عليه أبو بكر أن يؤثره بتبشير رسول الله - ﷺ - بذلك ، فأجابه المغيرة إلى ذلك . فكان أبو بكر هو الذي بشر النبي - ﷺ - بذلك .

ثم رجع إليهم المغيرة . ورجع معهم ، وأخبرهم كيف يحجون رسول الله - ﷺ - ، فلم يفعلوا وحيوه بتحية الجاهلية . فضرب لهم - رسول الله - ﷺ - قبة في ناحية المسجد/ وكان خالد بن سعيد بن العاص هو الذي يختلف بينهم وبين رسول الله ﷺ ، وهو الذي كتب الكتاب لهم ، وكان الطعام يأتيهم من عند رسول الله ﷺ فلا يأكلون حتى يأكل منه خالد بن سعيد . وسألوا رسول الله - ﷺ - قبل أن يكتب كتابهم أن يترك لهم الطاغية<sup>(٦)</sup> وهي اللات لا يهدمها ثلاث سنين . فأبى رسول الله إلا هدمها . وسألوه أن لا يهدموا<sup>(٧)</sup> أوثانهم ولا يكسروها بأيديهم ، فأعفاهم رسول الله - ﷺ - من كسرها بأيديهم ، وأبى أن يدع لهم وثناً . وقالوا إنما أردنا أن نسلم بتركها من سفهاتنا ونسائنا ، وخفنا أن نروع قومنا بهدمها حتى ندخلهم الإسلام وقد كانوا سألوه مع ترك الطاغية أن يعفيهم من الصلاة ، فقال لهم : لا خير في دين لا صلاة فيه .

١٤٠

(١) هما مثل عبد يابل من الأحلاف .

(٢) قناة : واد بالمدينة .

(٣) ثقيف من أبناء عمومته وكان قد أسلم وحين إسلامه .

(٤) الركاب : الإبل والحمل .

(٥) ريادة من ابن هشام .

(٦) الطاغية : الصنم الكبير وكانوا قد بنوا للات كعبة كبيرة يحجون إليها .

(٧) في الأصل : يهدم .

فلما كتب لهم رسول الله ﷺ كتابهم أمر عليهم عثمان بن أبي العاصي . وكان أحدثهم سباً . وراه أحرصهم على تعلم القرآن وشرائع الإسلام . وأمره أن يصلى بهم وأن يقدرهم بأضعفهم ولا يطول عليهم <sup>(١)</sup> . وأمره أن يتخذ مؤذنا لا يأخذ على أذانه أجراً . وبعث معهم أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة لهدم الأوثان والطاغية وغيرها ، فأقام أبو سفيان في ماله <sup>(٢)</sup> بدى الحزم <sup>(٣)</sup> . وقال للمغيرة : ادخل أنت على قومك . فدخل المغيرة . وشرع <sup>(٤)</sup> في هدم الطاغية وهي اللات . وقام <sup>(٥)</sup> دونه قومه بنو معتب خشية أن يرمى كما رمى عروة بن مسعود ، وخرج نساء ثقيف يبكين اللات حسراً <sup>(٦)</sup> . ويحزن عليها . فهدمها المغيرة وأخذ مالها وحليها .

وقد كان أبو مليح بن عروة [ بن <sup>(٧)</sup> مسعود ] وقارب بن الأسود قدما على رسول الله ﷺ قبل وفد ثقيف حين <sup>(٨)</sup> قُتل عروة بن مسعود يريدان فراق ثقيف وأن لا يخامعاهم على شيء أبداً . فأسألا . وقال لهما : توليا من شئنا ، فقالا : نتولى الله ورسوله . فقال رسول الله ﷺ - وخالهما أبو سفيان بن حرب ، [ فقالا <sup>(٩)</sup> : وخالنا أبو سفيان بن حرب ] .

فلما أسلم أهل الطائف ووجه رسول الله ﷺ - أبو سفيان والمغيرة إلى هدم الطاغية سأل أبو مليح بن عروة بن مسعود [ رسول الله ﷺ ] أن يقضى دين [ أبيه ] عروة من مال الطاغية . وسأل قارب بن الأسود بن مسعود مثل ذلك . والأسود وعروة أخوان لأب وأم . فقال رسول الله ﷺ - للمغيرة وأبي سفيان : اقبضيا دين عروة من مال الطاغية .

(١) أن لا يطول الصلاة .

(٢) أي بالطائف .

(٣) هكذا في الأصل وفي روين هشام : الحزم ، وفي مصادر أخرى : الحزم بالراء

(٤) هكذا في روين هشام وغيره . وفي الأصل : في شرع ، وهو تحريف .

(٥) في الأصل : وأقام .

(٦) حسرا : مكشوفات الرؤوس .

(٧) زيادة لتوضيح السياق .

(٨) هكذا في روين . وفي الأصل : حتى .

(٩) زيادة من روين هشام وغيره .

فقال قارب يا رسول الله [و] دين الأسود . فقال رسول الله ﷺ : إن الأسود مات مشركا . فقال قارب : يا رسول الله لكن تصل مسلما إذا قرابة يعنى نفسه إنما الدين على وأنا الذى أُطَّلبُ به . فأمر رسول الله - ﷺ - بقضاء دين الأسود بن مسعود من مال الطاغية . ففضى أبو سفيان والمغيرة دين الأسود/وعروة ابني مسعود من مال الطاغية .

و ١٤١

### حِجَّةٌ (١) أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَنَةَ تِسْعٍ

وأمر رسول الله - ﷺ - أبا بكر بالخروج إلى الحج وإقامته للناس ، فخرج أبو بكر لذلك (٢) ، ونزل صدر (٣) سورة براءة بعده . فقيل له : يا رسول الله لو بعثت بها إلى أبي بكر يقرؤها على الناس في الموسم ؟ فقال : إنه لا يؤدبها عنى إلا رجل من أهل بيتي . ثم دعا علياً ، فقال له : اخرج بهذه القصة من صدر براءة ، وأذن بها في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بيني . وأمره بما ينادى (٤) به في الموسم - فخرج على ناقة رسول الله - ﷺ - العَضْبَاءُ ، حتى أدرك أبا بكر بالطريق ، فقال له أبو بكر لما رآه : أميرا (٥) أو مأمورا ، قال : بل مأمورا .

ثم نهضا ، فأقام أبو بكر للناس الحج سنة تسع على منازلهم التي كانوا عليها في الجاهلية . وقد قيل إن حجة أبي بكر وقعت حينئذ في ذى القعدة على ما كانوا عليه من

(١) انظر في حجة أبي بكر للناس سنة تسع ابن هشام ١٨٨/٤ وابن سعد ج ٢ ق ١ ص ١٢١ وتاريخ الطبرى ١٢٢/٣ والبخارى ١٦٧/٥ وابن حزم ص ٢٥٨ وابن سيد الناس ٢٣١/٢ وابن كثير ٣٦/٥ .

(٢) قال ابن سعد إنه خرج من المدينة في ثلاثمائة رجل وبعث معه الرسول بعشرين بدنة وساق أبو بكر خمس بدنان .

(٣) وفيه براءة من عهد كل مشرك لم يسلم أن يدخل المسجد الحرام بعد هذا العام التاسع للهجرة وبيان لمدة مضرورية هي أربعة أشهر حتى يرجع كل قوم إلى ماأنهم أو بلادهم ، ثم لا يقبل منهم بعد ذلك إلا الإسلام طوعا أو كرها . وسرعان ما دخل في دين الله من كان لا يزال مشركا . وسيوضح ابن عبد البر ذلك عما قليل .

(٤) في ابن هشام أن عليا كان ينادى في الناس : لا يدخل الحنة كافر ولا يبيع بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان . وقد كره الرسول أن يبيع في هذا العام ، ولا يزال مشركون عراة يشركون المسلمين في حجهم ، وسيذكر ابن عبد البر ذلك .

(٥) يريد أبو بكر : هل استعمل الرسول عبداً أميراً على الحج أو أنه جاء لغرض آخر . وذكر له على ما جاء له من تلاوة صدر سورة براءة على الناس في الحج .

النسيء في الجاهلية . وروى معمر . عن [ ابن ] أبي نُجَيْع ، عن مجاهد في قوله [ تعالى ] :  
 ( إنما النسيء زيادة في الكفر ) قال : كانوا يحجون [ في كل ] <sup>(١)</sup> شهر عامين ، حَجُّوا في ذى  
 الحِجَّة عامين ، ثم حَجُّوا في المحَرَّم عامين ، ثم حجوا في صفر عامين ، حتى وافت حجة  
 أبي بكر [ في <sup>(٢)</sup> الآخر من العامين ] في ذى القعدة قبل حجة النبي - ﷺ . ثم حجَّ  
 النبي - ﷺ . من قابل [ في ] / ذى الحجة ، فذلك قوله ( ﷺ ) حيث يقول « إن  
 الزمن قد استدار كهيشته يوم خلق الله السموات والأرض » .

١٤١ ظ

قال معمر . قال الزهري ، عن سعيد بن المسيب :  
 لما قتل رسول الله - ﷺ - من حنين اعتمر من الجعرانة وأمر أبا بكر على تلك  
 الحجة .

وذكر ابن جريج عن مجاهد ، قال :  
 لما انصرف رسول الله - ﷺ - من تبوك أراد الحج ثم قال : إنه يحضر البيت عراة  
 مشركون يطوفون بالبيت ولا أحبُّ أن أحجَّ حتى لا يكون ذلك . فأرسل أبا بكر ثم أرفده  
 عليا .

قال أبو عمر :  
 بعث عليا ينيذُ إلى كل ذى عهد عهده ، ويعهد إليهم أن لا يحج بعد العام مشرك ولا  
 يطوف بالبيت عريان مع سائر ما أمره أن ينادى به في كل موطن من مواطن الحج . فأقام  
 الحج ذلك العام سنة تسع أبو بكر . ثم حجَّ رسول الله ﷺ - من قابل حجته التي لم  
 يحجَّ من المدينة غيرها . فوَقعت حجة رسول الله - ﷺ - في العام المقبل في ذى الحجة ،  
 فقال : « إن الزمان قد استدار - الحديث » . وثبت الحجُّ في ذى الحجة إلى يوم القيامة .  
 فلما كان يوم النَّحْرِ في حجة أبي بكر قام على فاذن في الناس بالذي أمره به رسول الله ﷺ  
 فقال : أيها الناس إنه لا يدخل الجنة كافر . رُوِيَ في حديثه هذا : لا يدخل الجنة إلا نفس  
 مؤمنة ولا يحجُّ بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان له عند رسول الله

١٤٢ و

(١) زيادة من ر . والعبارة في الأصل : كانوا يحجون في شهر ذى القعدة عامين .

(٢) هكذا في ر . وفي الأصل : الأخيرة .

عهد فهو إلى مدته . وأجل الناس أربعة أشهر من يوم أذن فيهم ليرجع كل قوم إلى مآمنهم وبلادهم ثم لا عهد لمشرك ولا ذمّة لأحد كانت له عند رسول الله ﷺ . فلم يحج بعد ذلك العام مشرك ولم يطف بالبيت عريان .

حدثنا عبد الوارث بن سفيان ، قال : حدثنا قاسم بن أصبغ ، قال : حدثنا أحمد بن زهير بن حرب ، قال : حدثنا سعيد بن سليمان ، قال : حدثنا عباد بن العوام ، قال : حدثنا سفيان بن حصين ، قال : حدثني أبو بشر ، عن مجاهد :  
أن أبا بكر حجّ في ذى القعدة .

قال (١) : حدثنا سعيد بن سليمان ، قال : حدثنا عباد بن عباد (٢) ، قال : قال سفيان بن حصين (٣) ( قال ) وأخبرني إياس بن معاوية ، عن عكرمة بن خالد المخزومي . أن أبا بكر حجّ في ذى القعدة ، فلما كان العام المقبل حجّ رسول الله - ﷺ - في ذى الحجة ، فخطب الناس . وذكر الحديث .

حدثنا عبد الوارث ، قال : حدثنا قاسم ، قال : حدثنا بكر بن حباد ، وحدثنا عبد الله بن محمد ، قال : حدثنا محمد بن بكر ، قال : حدثنا أبو داود ، قال : حدثنا مسدد ، قال : حدثنا إسماعيل بن عُلبة ، قال : حدثنا أيوب ، عن محمد ، عن أبي بكر ، أن النبي - ﷺ - خطب في حجته ، فقال : « إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، السنة اثنا عشر شهراً ، منها أربعة حرم : ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، ورجب مفرد الذي بين جمادى وشعبان » .

١٤٢ ظ

(١) لعله ابن حرب في سند الحديث السالف .

(٢) هكذا في الأصل ور ، ولعله العوام كما في السند السابق .

(٣) في الأصل ور : حسين ولعله محريف .